ختم النبوة بمحمد ـ صلي الله عليه وسلم
عند ابن كثير

إعداد الباحث

محمد على أحمد قنديل

بحث مقدم لمجلة كلية البنات جامعة عين شمس

والذي يعد لمناقشة رسالة الدكتوراه المقدمة لنيل الدرجة

بكلية البنات جامعة عين شمس

مقدمة

لقد اتفقت آراء علماء الأمة من المتكلمين وغيرهم على أن سيدنا محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أفضل الأنبياء والمرسلين ، وهو خاتمهم جميعا .[113] وابن تيمية[114] يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ـــ أفضل من الأنبياء ، ومن الملائكة ، ومن سائر الخلق فيما يحققه من قول السلف عن عبد الله بن سلام[115] أنه قال : ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد قيل له : ولا جبريل ، ولا ميكائيل ، قال : أتدري ما جبريل ، وميكائيل ؟ إنما جبريل ، وميكائيل خلق مسخر كالشمس ، والقمر ، وما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.[116] وكون سيدنا محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ خاتم النبيين وأفضل المرسلين مسألة من مسائل علم العقيدة . وهذه الدراسة محاولة لربط التفسير بالعقيدة من خلال بحث هذه النقطة من تفسير ابن كثير وذلك ؛ لأن علم التفسير من أهم العلوم في حقل الدراسات الإسلامية ، فإذا ربط هذا العلم بعلم العقيدة سوف يصل الباحثون إلى دراسات تظهر توجهات المفسرين وعقائدهم من خلال تفاسيرهم على مر عصور التفسير من بداية التفسير المأثور الذي بين لنا أول المفسرين للقرآن الكريم وهو النبي المعصوم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إلى هذا العصر .

أسباب اختيار هذا الموضوع

---

[1]) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج4 (مجلد مفصل الاعتقاد)ص194 ، وانظر تفسير القرطبي ج14 / 302 في تفسيره لقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " (سورة الأنبياء الآية (107) قال : إن النبي أرسل رحمة للملائكة ؛ لأنهم من العالمين . وانظر تفسير الرازي ج6 / 210 ، 211 في تفسيره لقوله تعالى : " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ " سورة البقرة من الآية (253) ، و انظر تفسير الكشاف للزمخشري ج1/ 477 ، 478 ،و انظر خاتم النبيين ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ تأليف محمد أبو زهرة ج1 / 11 : 13 . أقر بأن النبي أفضل من الملائكة .

[2]) هو : شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني ولد في عاشر ربيع الأول يوم الاثنين سنة إحدى وستين وستمائة بحران. سمع من ابن عبد الدايم، وابن أبي اليسر، وعدة. وبرع في التفسير، والحديث، والاختلاف، وكان يتوقد ذكاءً، ومصنفاته أكثر من مائتي مجلد. وله مسائل غريبة نيل من عرضه لأجلها. وكان رأساً في الكرم والشجاعة، قانعاً باليسير، مات في قلعة دمشق ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة لسنة ثمان وعشرين وسبعمائة معتقلاً. ومنع قبل وفاته بخمسة أشهر من الدواة والورق. شيعه نحو من خمسين ألفاً، وحمل على الرؤوس رحمه الله.

انظر ترجمته في : العبر في خبر من غبر للذهبي ج4/ 84 .

[3]) هو : عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف . أسلم عند قدوم النبي المدينة . قيل كان اسمه حصين فسماه النبي عبد الله ، وشهد له بالجنة . شهد مع عمر فتح بيت المقدس . مات سنة ثلاث وأربعين .

انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ج3/ 163 .

[4]) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج4/ 219 ، (مجلد مفصل الاعتقاد) .

1ـ الأهمية القصوى لإثبات أفضلية النبي وكونه خاتم النبيين عند المسلمين .

2ـ بحث هذه المسألة وهي من مسائل العقيدة من أحد التفاسير المأثورة يبين عقيدة السلف الصحيحة من خلال الأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

3 ـ الوقوف على تفسير ابن كثير في هذه المسألة يظهر مدى اتباعه لعقيدة السلف ، وهو من أهم علماء التفسير بالمأثور .

خطة الدراسة :

جاء هذا البحث في مقدمة وثلاث مطالب وخاتمة بعدها أدرجت قائمة المصادر والمراجع

المقدمة : وفيها الحديث عن أسباب اختيار الموضوع وخطة الدراسة .

المطلب الأول : مناقب الإمام ابن كثير .

المطلب الثاني : ما جاء عند ابن كثير عن أفضلية النبي .

المطلب الثالث : بيان ابن كثير أن رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

الخاتمة .

قائمة المصادر والمراجع .

المطلب الأول : مناقب الإمام ابن كثير :

ــ نسبه :

هو : " الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء ابن كثير القيسي البصروي. " [117]

ــ مولده ، نشأته ، وتعلمه :

ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير بمجدل قرية من مدينة البصرة في العراق ومات أبوه سنة 703 هــ . [118] " نشأ بدمشق حيث قدمها وهو ابن سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه ، وحفظ أحاديث مختصر ابن الحاجب (تاريخ ابن الحاجب) ، وتفقه بالبرهان الفزاري [119] ، وقرأ في الأصول على الأصبهاني [120] وألف في صغره أحكام التنبيه وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم يشارك في العربية وينظم نظما وسطا قال الذهبي عنه : الإمام المحدث المفتي البارع، وصف بحفظ المتون وكثرة الاستحضار ، وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وإسحاق الآمدي وابن عساكر والمزي وتزوج بابنته وسمع عليه أكثر تصانيفه ، وابن الرضي وطائفة وأجاز له من مصر الدبوسي والواني والختني وغيرهم ، وأخذ عن الشيخ تقي الدين بن تيمية فأكثر . " [121] ويظهر من ذلك كثرة شيوخ ابن كثير مما يدل على كثرة تلقيه للعلم . وحفظه للمتون وكثرة استحضاره يدل على تفوقه العلمي . وهو ما شهد له به أهل عصره .

---

[1]) طبقات الحفاظ للسيوطي ص534 .

[2]) انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، دار الجيل بيروت لبنان ط 1414 هــ 1993 مــ ج1/ 374 .

[3]) هو : إبراهيم بن سليمان بن سالم البرهان الفزاري ، وصف بالخير . مات قبل الثمانين وسبعمائة ، أو بعدها .

انظر ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ــ لبنان ج1/ 53 .

[4]) هو : محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الاصفهاني، أو الاصبهاني: مفسر، كان عالما بالعقليات.ولد وتعلم في أصبهان. ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها، وأعجب به ابن تيمية. وانتقل إلى القاهرة وبقي بها إلى أن مات فيها مصابا بالطاعون سنة سبعمائة وتسة وأربعون . له كتب في التفسيرل ، وأصول الفقه .

انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي ج7/ 176 .

[5]) انظر الدرر الكامنة مرجع سابق ج1/ 374، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ج8/ 397 ، 398 .

ـ علمه ، وتقريظ العلماء له ، ومؤلفاته :

قال ابن العماد الحنبلي في الشذرات عن ابن كثير : هو إمام روى التسبيح والتهليل وزعيم أرباب التأويل سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بالفتوى ، وحدث وأفاد وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. فألف في التفسير تفسير القرآن العظيم ، وألف في التاريخ كتابه المشهور البداية والنهاية ، وفي الحديث تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب . وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يتمه ، ورتب مسند أحمد على الحروف وضم إليه زوائد الطبراني وأبي يعلى ، وله مسند الشيخين ، وعلوم الحديث ، وطبقات الشافعية .[122] ويظهر من هذا كثرة مؤلفات ابن كثير والحقيقة أن هناك ظاهرة في مؤلفات ابن كثير تدل على تدفقه العلمي وغزارته ، فإنك إذا طالعت مؤلفاته تجدها مشحونة بذكر الأحاديث وكذا الآراء الفقهية ، ففي البداية والنهاية أحاديث وآثار لا حصر لها مع أنه كتاب تاريخ ، وهذه مزية يتميز بها كتابه هذا ؛ لأنه يعد من المراجع المهمة في التاريخ الإسلامي المشفع بالأدلة من السنة وآثار الصحابة والتابعين ، وكذا تجد في تفسيره إدراجا لمسائل فقهية كثيرة ، هذا إلى جانب تنويد التفسير بأحاديث جمة ؛ وذلك لأنه تفسير بالمأثور . وإن المسائل الفقهية التي تخللت تفسير ابن كثير تبين أنه فقيه عالم بالفقه وأصوله . ولذا قيل عنه: هو الإمام المفتي المحدث البارع ثقة متفنن محدث متقن ، كان كثير الاستحضار وسارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع به الناس بعد وفاته . وامتاز ابن كثير بكثرة تلاميذه ومنهم ابن حجي[123] الذي قال عنه : أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه [124]

---

[1]) انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص534 ، وشذرات الذهب ج8/ 398 .

[2]) هو : أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد السعدي الحسباني الاصل، الدمشقي . حافظ مؤرخ، من أهل دمشق، ولد ومات فيها. ولد في ليلة الأحد رابع المحرم سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بظاهر دمشق ونشأ فحفظ القرآن ، وتفقه بأبيه ولازمه . انتهت إليه مشيخة الشيوخ في البلاد الشامية. ويلقب بمؤرخ الإسلام. صنف كتبا جليلة، منها " الدارس من أخبار المدارس" احترق غالبه في وقعة التتر، و " معجم " في أسماء شيوخه. توفي سنة ست عشرة وثمانمائة من الهجرة .

انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج1/ 270 : 272 .

[3]) انظر الدرر الكامنة لابن حجر ج1/ 374 ، وشذرات الذهب ج8/399 .

ــ وفاته :

توفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة وكان قد أضر في أواخر عمره.ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية [125].

المطلب الثاني : أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم :

تحدث ابن كثير عن أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه أفضل الأنبياء والمرسلين في تفسيره لآيات كثيرة من القرآن الكريم ، وتحدث عن كونه خاتم المرسلين في آية واحدة وهي قوله تعالى : " **وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** "[126] . والتي سوف تكون موضع دراسة في هذا البحث .

أولا : تفسير قوله تعالى : " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ " [127]

قال في تفسير هذا الجزء من الآية : " يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال: " **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا** " [128] وقال هاهنا: " **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ** " يعني: موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك آدم، كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه " **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** " كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل. فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة " قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال: أي خبيث وعلى محمد صلى الله عليه وسلم! فجاء اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى على المسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا

---

[4]) انظر الدرر الكامنة ج1/ 374 ، وطبقات الحفاظ ص534 ، وشذرات الذهب ج8/ 399 .

[1]) سورة الأحزاب من الآية (40) .

[2]) سورة البقرة من الآية (253) .

[3]) سورة الإسراء من الآية (55) .

بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني علـــى الأنبيـــاء" [129] وفي رواية: "لا تفضلوا بين الأنبياء".

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر.

الثاني: أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع.

الثالث: أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر.

الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل وعلـيكم الانقيـاد والتـسليم لــه والإيمان به. " [130]

هكذا يقرر ابن كثير حقيقة التفضيل بين الأنبياء ، لكن التفضيل ليس أمره ، و مرده إلى الأمة ، وإنما هو لله عز وجل ؛ لأن الله هو الذي فضل بين الأنبياء ، وهو وحده الذي يعرف قدر كـــل نبي ــ عليهم السلام أجمعين ــ لذا فالله هو الذي فضل وهو الذي قال : " **تِلْكَ الرُّسُـلُ فَـضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** " ولقد وفق ابن كثير بين الآية السابقة والحديث الذي نهى فيه النبي رجـــلا من المسلمين عن تفضيله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على موسى ، وذلك تواضعا من لنبي من جهة ، وإظهارا لمناقب الأنبياء السابقين من جهة أخرى ؛ حتى لا يكون التفضيل عـــن هـــوى وعصبية . وابن كثير في تفسيره لهذه الآية يضع أول نقطة في تفضيل النبي على سائر الأنبياء

---

[4]) الحديث متفق عليه في الصحيحين أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة الأعراف باب (إنما حرم ربي الفواحش ما ظهـــر منها وما بطن) ج 3 / 225 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي في كتاب الفضائل باب فضائل موسى عليه الـــسلام ج15 / 485 واللفظ شبيه بلفظ مسلم فإن لفظ مسلم هو " حَدَّثَنِى زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ قَالاَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِى عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : اسْتَبَّ رَجُلاَنِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ وَرَجُـــلٌ مِـــنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ الْمُسْلِمُ وَالَّذِى اصْطَفَى مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم- عَلَى الْعَالَمِينَ. وَقَالَ الْيَهُودِىُّ وَالَّذِى اصْطَفَى مُوسَـــى عَلَيْـــهِ السَّلاَمُ عَلَى الْعَالَمِينَ. قَالَ فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِىِّ فَذَهَبَ الْيَهُودِىُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وســـلم- فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ تُخَيِّرُونِى عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّـــاسَ يَـــصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلاَ أَدْرِى أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِى أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ ».

[1]) تفسير ابن كثير ج1 / 305 .

؛ لأن الله ذكر تفضيله لبعض الرسل على بعض ، وسوف يأتي إظهار تفضيل النبي على سائر الأنبياء بوضوح في موضعه من هذا البحث .

وقال الرازي عن تفضيل النبي على سائر الأنبياء في هذه الآية : " أجمعت الأمـــة علـــى أن بعض الأنبياء أفضل من بعض ، وعلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من الكل ، ويدل عليه وجوه أحدها : قوله تعالى : " **وَمَا أرسلناك إلاَّ رَحْمَةً للعالمين** "[131] فلما كان رحمة لكـل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين .

الحجة الثانية : قوله تعالى : " **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** "[132] فقيل فيه لأنه قرن ذكر محمد بذكره في كلمة الشهادة وفي الأذان ، وفي التشهد ، ولم يكن ذكر سائر الأنبياء كذلك .

الحجة الثالثة : أنه تعالى قرن طاعته بطاعته ، فقال : " **مَنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله** "[133] وبيعته ببيعته فقال : " **إنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** "[134] وعزتـــه بعزته فقال : " **وَلِلَّهِ العزة وَلِرَسُولِهِ** "[135] ورضاه برضاه فقـــال : " **والله وَرَسُـــولُهُ أَحَـقُّ أَن يُرْضُوهُ** "[136] وإجابته بإجابته فقال : " **يا أيها الذين ءَامَنُواْ استجيبوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ** " . "[137]

هذا هو رأي الرازي في تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن . وهو أمرأجمعت عليه الأمة . كذلك لم يختلف ابن كثير عن الزمخشري ، والرازي في إظهار أفضلية النبي على سائر الأنبياء والمرسلين فذكر الزمخشري أفضليته ــ صلى الله عليه وسلم ــ في تفسيره لهذه الآية [138]، وهذا يدل على اتفاق المفسرين على أفضلية نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ على سائر النبيين والمرسلين ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى يوم الدين ــ .

---

[2]) سورة الأنبياء الآية (107) .

[3]) سورة الشرح الآية (4) .

[4]) سورة النساء من الآية (80) .

[5]) سورة الفتح من الآية (10) .

[6]) سورة المنافقون من الآية (8) .

[7]) سورة التوبة من الآية (62) .

[8]) تفسير الرازي ج6 / 210 ، 211 ، والآية سورة الأنفال من الآية (24) .

[9]) انظر تفسير الكشاف للزمخشري ج1/ 477 ، 478 .

ثانيا: تفسير قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا " [139]

قال في تفسير قوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا " يرشد تعالى العصاة، والمذنبين ، إذا وقع منهم الخطأ والعصيان ، أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: " لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا "

وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر بن الصباغ [140] في كتابه "الشامل" الحكاية المشهورة عن العُتْبي، قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: " وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا " وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ...

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عُتْبى، الحقْ الأعرابيّ فبشره أن الله قد غفر له ." [141]

وهذا يدل على فضل النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته ؛ ولقد أراد كثير من علماء السلفية المعاصرين أن يطعنوا في صحة هذه الرواية من جهة ، ويمنعوا الأخذ بها من جهة أخرى ؛ لأن الأحكام الشرعية لا تؤخذ من الرؤى ، والحقيقة أن رؤية النبي ثابتة بالدليل الشرعي فقد أخرج الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه قال " : قال النبي صلى الله عليه و

---

[1]) سورة النساء الآية (64) .

[2]) هو: أبو نصر بن الصبّاغ، الفقيه عبد السيّد بن محمد بن عبد الواحد البغدادي الشافعي، أحد الأئمة، ومؤلف " الشامل " كان نظيراً للشيخ أبي إسحاق ومنهم من يقدمه على أبي اسحاق في نقل المذهب وكان ثبتاً حجة ديّنا خيّراً، ولي النظامية بعد أبي إسحاق، ثم كفّ بصره. وروى عن محمد بن الحسين القطّان، وأبي علي بن شاذان، وكان مولده في سنة أربعمائة، توفي في جمادى الأولى لسنة أربعمائة وسبع وسبعين ، ببغداد، ودفن في داره.

انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج4/ 188 ، 189 ، وسير أعلام النبلاء ج18/ 22 ، 23 .

[3]) تفسير ابن كثير ج1 / 520 ، 521 .

سلم من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " [142] وهذا دليل على ثبوت رؤية النبي

وصحتها ، وطالما أن العتبي [143] رأى النبي فهو صادق فيما أخبر به ـ وقد ثبت في ترجمته بالحاشية أنه رجل عالم عابد فقيه من أهل الخير والجهاد ـ فرجل جليل كهذا لا يكذب على النبي ، وهو يعلم أنه من كذب على النبي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، هذا من جهة صدق الرواية .

أما من حيث أن الأحكام الشرعية لا تؤخذ من الرؤى فشفاعة النبي ثابتة بالأحاديث الصحيحة ، ولا تحتاج إلى دليل شرعي من هذه الرؤيا . وإذا كانت الشفاعة ثابتة بالأحاديث الصحيحة في يوم الموقف العظيم ـ يوم القيامة ـ وثبت بالأدلة الشرعية التي لا تحصى قبول دعاء النبي عند الله وعدم رده عليه ، فلا فرق في ذلك بين دعاء النبي لنا في حياته أو بعد مماته ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم له خصوصيات غيبية لا نعلمها ، ومنها هذه الواقعة . كذلك ثبت في كتب أهل السنة أن " أرواح المؤمنين وإن كانت في الجنة فلها اتصال بالبدن إذا شاء الله تعالى من غير زمن طويل كما تنزل الملائكة في طرفة عين قال مالك رحمة الله تعالى : بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت ولهذا روى أنها على أفنية القبور وأنها في الجنة والجميع حق وفي الصحاح أنها ترد إليه بعد الموت ويسأل وترد فتكون متصلة بالبدن بلا ريب والله أعلم وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه في الدنيا وأن ذلك يعرض عليه وأنه يرى ويدري بما يفعل عنده ويسر بما كان حسنا ويتألم بما كان قبيحا وروي أن عائشة رضي الله عنها بعد أن دفن عمر رضي الله عنه كانت تستتر وتقول كان أبي وزوجي فأما عمر فأجنبي

---

[4]) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير باب من رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم في المنام ج4 / 348 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي في كتاب الرؤيا باب من رآني في المنام ... ج15 / 403 واللفظ للبخاري .

[1]) هو : محمد العتبي بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن جميل بن عتبة بن أبي سفيان سمع بالأندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ورحل فسمع من سحنون وأصبغ. كان حافظاً للمسائل جامعاً لها عالماً بالنوازل. كان بن لبابة يقول: لم يكن هنا أحد يتكلم مع العتبي في الفقه ولا كان بعده أحد يفهم إلا من تعلم عنده. روى محمد بن لبابة عنه وأبو صالح وسعيد بن معاذ والأعناقي وطبقتهم. وقال الصدفي: كان من أهل الخير والجهاد والمذاهب الحسنة وكان لا يزول بعد صلاة الصبح من مصلاه إلى طلوع الشمس ويصلي الضحى .

انظر ترجمته في : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ج2 / 176 ، 177 .

تعني أنه يراها " [144] فإذا كان هذا حال المؤمنين الذين نالوا هذه الدرجة لإتباعهم لنهج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فما بالنا بصاحب الدعوة نفسه ؛ فإننا لن نستطيع أن نصل لما أعطاه الله ــ سبحانه ــ بعد انتقاله إليه ؛ لأن هذا من الغيبيات التي وصلنا عنها أشياء قليلة كهذا الخبر الذي ذكر في الفقرة السابقة . وإن تكذيب مثل هذه الروايات التي لابد وأن تصدق بالقلب ، ولا يعمل العقل فيها ؛ لأن العقل قاصر عن إدراك مثل هذه الغيبيات إنما يدل على نقص الإيمان بالله . فالله قادر على كل شئ ، وإخراج سماع النبي لكلام الأعرابي في قبره عن قدرة الله ضعف في العقيدة ؛ لأن الله هو الذي أسمع نبيه كلام الأعرابي بقدرته ، وهو الذي أذن للنبي أن يستغفر للأعرابي وهو في قبره ، ولو لم يأذن الله للنبي بذلك لما استغفر للأعرابي . والله سبحانه يقول : " **وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** " [145] وفي الآية دليل واضح بلا شك ولا ريب أن إسماع من في القبور إنما هو من قدرة الله ، وإرادته ولقد قال الرازي في تفسير هذه الآية : " ثم قال تعالى : " **إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القبور** " وفيه احتمال معنيين الأول : أن يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة إلى سماعهم كلام النبي والوحي النازل عليه دون حال الموتى فإن الله يسمع الموتى والنبي لا يسمع من مات وقبر ، فالموتى سامعون من الله والكفار كالموتى لا يسمعون من النبي ، والثاني : أن يكون المراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لما بين له أنه لا ينفعهم ولا يسمعهم قال له هؤلاء لا يسمعهم إلا الله ، فإنه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء ، وأما أنت فلا تسمع من في القبور ، فما عليك من حسابهم من شيء ." [146]

لذا فلا شئ يعزب عن قدرته ، ولا شئ يخرج عن إرادته سبحانه وهذا من تمام العقيدة والله أعلى وأعلم . وتفسير ابن كثير للآية السابقة يدل على أفضلية النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه أفضل الأنبياء والمرسلين .

---

[2]) مختصر الفتاوي المصرية لابن تيمية اختصره ، ورتبه ، وبوبه بدر الدين محمد بن علي الحنبلي ، راجعه ، وحقق نصوصه الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر سابقا ، دار الجبل بيروت ــ لبنان ص234 .

[3]) سورة فاطر الآية (22) .

[1]) تفسير الرازي ج26 / 18 .

ثالثا : تفسير قوله تعالى : " مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا " [147]

قال في تفسير هذه الآية : " يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله،وما ذاك إلا ؛ لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني

فقد عصى الله ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني".[148] لم يقل ابن كثير في تفسير هذه الآية أكثر من هذا ، وإن في إقران طاعة الله بطاعة نبيه تعظيم وتشريف للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو دال على أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه أفضل الأنبياء والمرسلين . ولقد تصفحت كثيرا من التفاسير فلم أجد كلاما يزيد على ما قاله ابن كثير إلا أن طاعة النبي في أصلها طاعة لله ؛ لأنه يأمر بأمر الله ، وينهى بنهي الله [149] وقال الشوكاني في فتح القدير : " فيه أن طاعة الرسول طاعة لله وفي هذا من النداء بشرف رسول الله صلى الله عليه و سلم وعلو شأنه وارتفاع مرتبته ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه ووجهه أن الرسول لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه "[150] .

رابعا : تفسير قوله تعالى : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " [151]

قال في تفسير هذه الآية : " قال ابن عباس: إن الله جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من قوارع العذاب ما داما بين أظهرهم: فأمان قبضه الله إليه، وأمان بقي فيكم، قوله: " **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** " [152]

---

[2]) سورة النساء الآية (80) .

[3]) تفسير ابن كثير ج1 / 529 والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ج2 /242 في كتاب الجهاد والسير باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ومسلم في صحيحه بشرح النووي ج12 / 531 في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية .

[4]) انظر تفسير الرازي ج 10/ 198 ، 199 ، وتفسير القرطبي ج6 / 473 ، وتفسير الزمخشري ج2/ 114 .

[5]) تفسير فتح القدير للشوكاني ج1/ 732 .

[6]) سورة الأنفال الآية (33) .

يستدل ابن كثير بكلام ابن عباس حبر الأمة بأن الله لا يعذب المسلمين المؤمنين ، طالما أن النبي بين أظهرهم ، وهذا بخلاف الأمم السابقة التي عذبت بألوان كثيرة من العذاب جراء معصيتهم لله وأنبياؤهم بين ظهرانيهم . وهذا ما يفيده لفظ الآية ، ولكن الآية تحمل في طياتها معان كثيرة منها :

ــ أن النبي وهو موجود بين المسلمين فلن تعذب أمته مثل الأمم السابقة ، ولن تهلك كما هلكت الأمم السابقة .

ــ أن الله لن يعذب المشركين أنفسهم كما عذب كفار الأمم السابقة ؛ وذلك لفضل النبي بينهم ، وأنه خرج من بين أظهرهم فلهذا تنزلت رحمة الله عليهم فلا يهلكهم في الدنيا بالعذاب ، وإنما يعذبهم في الآخرة على كفرهم .

ــ ولو انتهى معنى الآية في فضل النبي بهذه الصورة لكان كفار قريش أوفر حظا من أحباب النبي وإخوانه ، الذي قال عنهم : " وددت أني لقيت إخواني فقال أصحابه : أو ليس نحن إخوانك ؟ قال : أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني " [153] ورواية أحبابي " قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متى ألقى أصحابى متى ألقى أحبابى ، فقال بعض الصحابة : أو ليس نحن أحباؤك قال : أنتم أصحابى ، ولكن أحبابى قوم لم يرونى وآمنوا بى أنا إليهم بالأشواق " [154] لذا فلا بد أن يمتد نفع الأمة بالنبي إلى قيام الساعة ، كما يمتد إيمان الأمة به إلى قيام الساعة ؛ وتأسيسا على هذا الحديث فإنه كما انتفع الصحابة بالنبي بعدم تعذيبهم ، وانتفع المشركون كذلك ، وانتفع كل مستغفر بالاستغفار بعد التوبة ،

تنتفع الأمة كلها إلى قيام الساعة بالنبي طالما وجد فيهم الإيمان به ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ؛ لأن النبي فينا بسنته ، وفينا بتوجيهاته ، وأفعاله ، وتقريرا ته فكل من اتبع النبي ونهج نهجه ، وسار على سنته ، وآمن بالله وبنبوته ورسالته فالنبي يحبه كما ذكر في الحديث السابق ، ولن يعذبه الله لحب النبي إياه وهذا دال على أفضلية النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

---

[1]) تفسير ابن كثير ج2/ 305 .

[2]) الحديث حسن حسنه محقق مسند أحمد (نسخة الرسالة)أخرجه أحمد في مسنده ج20 / 39 . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج6/ 904 : 907 .

[3]) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي ج14 / 51 ، 52 . لم أستدل على حكم للحديث .

خامسا : تفسير قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " [155]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : "وقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " : يخبر تعالى أن الله جَعَل محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ وشكَر هذه النعمةَ، سَعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ " [156]، وقال الله تعالى في صفة القرآن: " قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ " [157].

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعَثْ لَعَّانًا، وإنما بُعثْتُ رحمة". [158] انفرد بإخراجه مسلم .

وفي الحديث الآخر: "إنما أنا رحمة مهداة" [159] ..... فإن قيل: فأيّ رحمة حصلت لمن كَفَر به؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير ، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس في قوله: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " قال: من آمن بالله واليوم الآخر، كُتِبَ له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفِي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف . " [160]

---

[4]) سورة الأنبياء الآية (107) .

[1]) سورة إبراهيم الآيتان (28، 29) .

[2]) سورة فصلت من الآية (44) .

[3]) الحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا. ج16 / 114.

[4]) أخرجه الحاكم في مستدركه ج 1/ 35 ، بسنده قال : " حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر المزني ثنا إبراهيم بن أبي طالب و محمد بن إسحاق بن خزيمة قالا : ثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني و ثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ثنا الحسين بن محمد بن زياد و إبراهيم بن أبي طالب قالا : ثنا زياد بن يحيى الحساني أنبأ مالك بن سعير ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة " وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعا بمالك بن سعير و التفرد من الثقات مقبول .

وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ، وقال : حسن وقد يصل لدرجة الصحة ج1 / 882 : 885 .

[5]) تفسير ابن كثير ج3 / 201 .

وهكذا يقرر ابن كثير أن إرسال النبي رحمة لجميع الخلق فمن آمن سعد في الدنيا والآخرة ، ونال رحمة الله التي كتبها للخلق من خلال النبي الخاتم ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن لم يؤمن به نال الرحمة التي أرسل بها محمد ــ صلى الله عليه وسلم بأن يعافى مما أصاب الأمم السابقة من العذاب المهلك . إرسال النبي رحمة للعالمين يدل على أن رحمته لم تنل البشر فقط بل نالت رحمته كل المخلوقات والكائنات بلا استثناء ، فالنبي وصى في شرعه بالرفق بكل مخلوقات الله سبحانه . بل إنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ جاء رحمة للملائكة ؛ لأنهم من العالمين المشار إليهم في الآية وروي " عن ابن عباس قال : كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد ، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق. "[161] وهذه الآية لا تدل على أن النبي أفضل الأنبياء فحسب بل فيها دلالة أيضا على أنه هو أفضل الأنبياء وأفضل من الملائكة . وهذا ما ذكره ابن تيمية من أقوال السلف كما سبق ، ووافقه الأشعرية على ذلك فيما ذكره مفسروهم ، ولقد ذكر الزمخشري المعتزلي أفضلية النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في تفسيره لآية أخرى غير هذه سبق ذكرها في هذا البحث [162].

سادسا : تفسير قوله تعالى : " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ "[163]

قال في تفسير هذه الآية : " وقوله: " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ " قال مجاهد: لا أُذْكرُ إلا ذُكِرتَ معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. وقال قتادة: رفع اللهُ ذكرَه في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا مُتشهد ولا صاحبُ صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. "[164]

وقال أيضا : " وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به، حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره في أمته فلا يُذكر الله إلا ذُكر معه. "[165]

---

[6]) تفسير القرطبي ج14 / 302 .

[7]) انظر تفسير الكشاف للزمخشري ج1/ 477 ، 478 . وانظر ص7 ، 8 من هذه الدراسة .

1) سورة الشرح الآيات (4) .

2) تفسير ابن كثير ج4/ 524 .

[3]) تفسير ابن كثير ج4/ 525 .

وإن هذا التفسير يدل دلالة قاطعة على أفضلية النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ، وأنـــه أفـــضل الأنبياء والمرسلين ؛ لأن الله ذكر اسمه مع اسمه في الآذان والصلاة أيضا في قـــراءة التـــشهد الأخير ، وهذا على الرأي الأول . وعلى الرأي الثاني فأخذ الله الميثاق من النبيين على اتباعـــه والإيمان به دليلا على تفضله عليهم من قبل الله تعالى . وبهذا يظهر بيان ابن كثيـــر لأفـــضلية النبي صلى الله عليه وسلم وتفضيله على سائر الأنبياء والمرسلين ، ويكفي النبي أن الله جعلـــه خاتم الأنبياء والمرسلينوفي هذا دليل على أفضليته ، ويكفي النبي أن جعل الله شرعه هو الباقي إلى يوم القيامة لا ينسخ بدعوة غيره من الرسل ، بل يتبعه في شرعه كل أصـــحاب الأديـــان السابقة عليه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وكل هذا أيضا يدل على أنه أفضل الأنبياء والمرسلين .

المطلب الثالث : بيان ابن كثير أن رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

جاء بيان كون النبي خاتم الأنبياء والمرسلين في تفسيره لآية واحدة هي :

قوله تعالى : " وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " [166]

وقوله: " **وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** " كقوله : " **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَـــالَتَهُ** " [167]فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعـــده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رســـول نبـــي، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة.

روى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثلي في النبيين كمثل رجـــل بنـــى دارًا فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لَبِنة لم يَضَعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيـــان ويعجبـــون منه، ويقولون: لو تمَّ موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة".[168]

---

[4]) سورة الأحزاب من الآية (40) .

[5]) سورة الأنعام من الآية (124) .

[1]) الحديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده ج35 / 167 ، 168 ، بسنده ولفظه وهو صحيح لغيره انظر ج35/ 168 لمسند أحمد نسخة الرسالة ، وأخرجه البخاري ج2 / 391 كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم من حديث أبي هريرة بلفظ : " أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إن مثلي مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " وأخرجه مسلم

....حديث آخر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي." قال: فشقّ ذلك على الناس قال: قال : ولكن المبشرات". قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: "رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة".[169]

.... والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد، صلوات الله وسلامه عليه، إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل مَنِ ادعى هذا المقام بعده

فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنَيرجيّات [170]، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله، سبحانه وتعالى، على يد الأسود العَنْسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لب وفهم وحجة أنهما كاذبان ضالان، لعنهما الله. وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب مَنْ جاء بها. وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: " **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** "[171] . وهذا بخلاف الأنبياء، عليهم السلام، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات. "[172] لقد بين ابن كثير أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ودلل على ذلك

في صحيحه بشرح النووي ج 15 / 425 في كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين بلفظ قريب من لفظ البخاري .

[2]) أخرجه أحمد في مسنده من هذا الوجه ج 21/ 326 ، 327 . قال شعيب الأرنؤوط ومن حقق النسخة معه : إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير المختار بن فلفل فمن رجال مسلم .

[3]) النيرجيات مفردها النِّيرَجُ وهي : أُخَذٌ تُشْبِه السِّحْرَ وليست بحقيقته ولا كالسِّحْر إنما هو تشبيه وتلبيس . انظر لسان العرب لابن منظور باب نرج باب الجيم فصل النون وما ثالثهما الراء ج6/ 4392 .

[4]) سورة الشعراء الأيتان (221 ، 222) .

[5]) تفسير ابن كثير ج3 / 493 ، 494 .

بما ورد من صحيح قول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأمر في ذلك واضح لا يحتاج إلى برهان ، ولا ينكره أحد من المسلمين .

الخاتمة

إن فضل النبي ـ صلى الله عليه وسلم عظيم . فهو النبي الخاتم الذي لا نبي بعده ، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين . ولقد أعطي الله تعالى النبي عطايا كثيرة . منها أن الله عز وجل نقى نسبه صلى الله عليه وسلم فجاء من الأطهار الأبرار حيث يقول رب العزة "**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**"[173] يروي ابن كثير في تفسيره لهذه الآية عن ابن عباس أنه قال : " يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي، حتى أخرجه نبيا."[174] ولو تطرقنا لفضائل النبي فلن ننتهي من خاتمة هذا البحث الضيق . ولذلك جاء ذلك البحث لكي يركز على أفضلية النبي بالنسبة لباقي الأنبياء فانحصر مجال البحث بين النبي وغيره من الأنبياء .

وقد توصلت الدراسة للنتائج الآتية :

1 ـ محمد صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله على الإطلاق وليس أفضل النبيين وخاتمهم فحسب .

2ـ اتفق علماء الأمة على كون النبي أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم .

3 ـ من فضل النبي الانتفاع به في حياته وبعد مماته فهو يستغفر للمؤمنين به في قبره وتلك من خصوصياته ـ صلى الله عليه وسلم .

وفي نهاية البحث أوصي الباحثين والدارسين بربط مسائل العقيدة بالتفسير لبحث هذه المسائل من كتب التفسير والتوصل لآراء المفسرين في هذه القضايا ومقارنة آراء المفسرين للوصول إلى الآراء الصحيحة في المسائل العقائدية المختلفة .

---

[1]) سورة الشعراء الآية (219)

[2]) تفسير ابن كثير ج

قائمة المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم

كتب التفسير :

2 ـ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، طبعة دار المنار .

3 ـ الرازي ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 / 1401هـ، 1981م .

4 ـ الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ـ الرياض ط1/ 1418 هـ ، 1998م .

5 ـ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 / 1427 هـ ، 2006م .

6 ـ محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، حققه وخرج أحاديثه وفهرسها سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثالثة 1418 هـ ـ 1997 .

كتب الحديث :

7 ـ أحمد بن حنبل ، المسند ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه :شعيب الأرنؤوط ،عادل مرشد ،مؤسسة الرسالة ، ط1 / 1416هـ ، 1995م .

8 ـ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، دار المعرفة بيروت لبنان .

9 ـ علاء الدين على بن حسام الدين ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، ط5 / 1405 هـ ، 1985م .

10 ـ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ، دار المنار 1422 ـ 2001م .

11 ـ محمد ناصر الدين الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1/ 1415 هـ ، 1995م .

12ــ محي الدين أبو زكريا النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق صلاح عويضة ، دار الفكر العربي .

الموسوعات ، وكتب التراجم ، والمعاجم :

13 ــ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، اعتنى به وخرج أحاديثه : عامر الجزار ، أنور الباز ، دار الملل والنحل لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ت (429 هــ) حققه وعلق عليه د/ ألبير نصري نادر دار المشرق بيروت لبنان ط 1986 مــ .

14 ــ ابن تيمية ، مختصر الفتاوي المصرية اختصره ، ورتبه ، وبوبه بدر الدين محمد بن علي الحنبلي ، راجعه ، وحقق نصوصه الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر سابقا ، دار الجيل بيروت ــ لبنان .

15 ــ ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل بيروت لبنان ط1 / 1414 هــ 1993م .

16 ــ ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق د/ محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر .

17 ــ ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة دار المعارف .

18 ــ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحاد ،دار إحياء الكتب العربية ،

19ــ جلال الدين السيوطي ، طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة .

20 ــ خير الدين الزركلي ، الأعلام (قاموس تراجم) ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ،ط 7 / 1986م .

21 ــ السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ــ لبنان .

22 ــ شمس الدين بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. حسان عباس ، دار الثقافة بيروت ــ لبنان .

23 ــ شمس الدين محمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ،ط1 / 1413هـ ــ 1992م .

24 ــ شمس الدين محمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ط9 / 1413 هـ ــ 1993م .

25 ــ شمس الدين محمد الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، حققه وطبعه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان .

26 ــ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط2 / 1413هـ، 1993م.

27 ــ محمد أبو زهرة ، خاتم النبيين ــ صلى الله عليه وسلم ــ عني بالطبعة ، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، طبع على نفقة أمير دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، الدوحة ، 1400 هـ .

••••••